ستديو ثقافة شعبية

من عروض الفرقة القومية للفنون الشعبية

من ملابس الجسم والقدم في هيت

عبد الرحمن جمعة الهيتي

صعود النخيل وركوب الخيل عند التسابق في ايام الافراح والاعياد والجري في الالعاب والتجديف في الزوارق والسفن الكبيرة والعمل في الحرف المتعددة والرقص في الجوبي.. اكسبت الهيتي قواماً ممشوقاً وجسماً مفتولا ونشاطا مميزا. وكل ما يلبسه جميل وانيق وان كان باليا. دشداشته من القماش الاسمر. وهو كذلك يجيد حسن اختياره لحاجياته وهو في مسغبة العيش.

جاء يوما من عمل في السماوة الى بغداد.. تعب من سفر دام يومين. وقف عند دكان في اسواق بغداد.

ساله اعندك جماغ ياباني.؟

قال البزاز.. نعم.. واعطاه لندني الصنع!! مستغفلا الرجل. نفضه وتلمس قماشه ولونه.. قرا علامة ومكان الصنع قال للبزاز انه لندني الصنع ايها البزاز.. "تله" بقوة وقال لا ادري ان من مثلك يقرأ الانكليزية.

والمرأة العربية الهيتية جميلة ورشيقة مكتحلة العين قمرية الوجه. ناحلة الخصر خفيفة الحركة عذبة اللسان والبيان قالت الاغنية الشعبية فيها،

(شطيب ريحان يزهي بلا ميه)

تخيط بيدها الملابس وتتفنن في الخياطة والفصال وتجيد وضع الشذر والخرز في الزيق والصدر يخاط "سبعة" او "دلعة" او "ومربعة" او "قلب الحب" وخاصة في قماش "شارميز" الذي يشبه قماش الستن ولكنه مخطط وبالوان الوردي والاحمر، وقماش "البرصة" الذي يشبه "الكتان". وقماش "القز" الناعم الملمس. وكن يلبسن "الصاية ام اردان" فهي جميلة لطيفة ان تحركت بها تشبه الطير.. او عندما ترقص في حفلة عرس. وتعقدها خلف رقبتها حينما تعمل في البيت.

المراة الهيتية تملك من الايثار ما يفوق التصور واليك واحدة. ام لها خمسة اولاد حرصت على ان تدخلهم المدرسة تودعهم في الصباح بعد فطور بسيط، وتستقبلهم بفرح الام الحنون، وتستمع الى دروسهم الواحد تلو الآخر رغم اميتها، لكن لحن القراءة وانسيابية النطق يدلها على حسن الحفظ وتمامه وخاصة في غياب الزوج في سفراته في "الشخاتير"، تخيط لهم الملابس وتحاول ان تظهرهم بأجمل ما يكون وما تملك الا ثوبا واحدا.

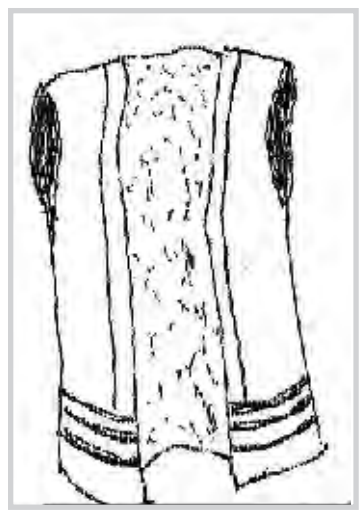

وحين تغسله تبقى ملتحفة بالعباءة، تستعجل الشمس في امتصاص قطرات الماء من ثوبها الوحيد لتلبسه.

وكانت ملابس النساء في مدينة هيت جميلة الا انها معتمدة على انواع قليلة لا تتعدى اصابع اليد، منها قماش شارميز ذو اللون الوردي و"البرصة" و"القز" وقماش جيناوي يعمل منه زبون وقماش اطلس، وما يحاك عند الحائك.

وغالبا ما كان الفصال واحداً.. فصال "ابو الجرس" .. وفتحات للصدر مختلفة وجاءت امراة بفصال ابو الجنطة اي جمع القماش في جهة عند الخصر.

اما لباس الرأس بالنسبة للمرأة فهو "الجرغد"، قماش من البريسم اسود لونه ولباس النساء كبيرات السن (مربد) له حاشية بشناشيل تعمل من البريسم تتدلى عند اللبس على جبهة المراة. ونوع أحمر مائل الى السواد.

وهناك صباغ في المدينة يصبغ القماش الاسمر باللون الدارسيني او الاسود او الازرق عند الحزن.

شاميرز وكاز ومشطات

الروس كلهن لابسات

خوي مكذلات والنخيل

على المتن مرمية

اما الاحذية التي تلبسها النساء منها (نعل تختة) اسود اللون معمول من اللاستيك له سير واحد لكل فردة، والقبقاب المعمول من الخشب وهو صناعة محلية، وهناك الحذاء العجمي المعمول من اللاستيك معقوف من الامام ومن الخلف.

ولباس الرجال فاغلبه من القماش الاسمر ما يحاك عند الحائك ويلبس الدميري، والزبون وما يعمل عند الفرائي من اليلك والخيالية والفروة.

واما الاحذية منها النعل معمول من اللاستيك، او الحذاء اليمني خف كبير احمر اللون.

غطاء الرأس الغترة والعقال يلبسه الكثير وهو دليل اكتمال الرجولة والعقل، ثم جاءت خياطة الصاية المفتوحة والتي يلبس تحتها لباس طويل.. والسترة وهي اكثر اناقة وجمالا.

وقفات على غصن

قبل اعوام

طلال سالم الحديثي

في مطلع ستينيات القرن الماضي اسست وزارة الارشاد آنذاك مركزا فولكلورياً كان من ضمن نشاطاته تأسيس مكتبة فولكلورية أهتمت بنشر مطبوعات في الفولكلور العراقي وكانت ايامها خطوة غير مسبوقة ومبكرة في الاهتمام بالكتابة في موضوعات الفولكلور وشؤونه الواسعة، وكانت غرة مطبوعاته كتاب المدخل الى الفولكلور العراقي للمرحوم عبد الحميد العلوجي والاستاذ الرسام والكاتب نوري الراوي، كانت الخطوة مهمة وكبيرة ورائدة، مهمة لانها فتحت الباب امام الكتاب لنشر نتاجاتهم في موضوع لم يذع صيته حينها في ربوعنا ولم تزد الكتابة فيه على ما ينشر في الصحف والمجلات واغلبها لا شان له بالفولكلور وبعضها لا يعترف اساسا بشيء يسمى (الفولكلور)، وكبيرة لانها تحتاج الى رصيد من الجهود يوازي ضخامة المشروع وتكاليفه المادية والمعنوية، ورائدة لانها غير مسبوقة على امتداد رقعة الاقطار العربية، ومن المحزن ان تتعثر هذه الخطوة وتنطوي لتؤول الى كتب متناثرة في شؤون الفولكلور لا توحدها سلسلة ولا يجمع شتيتها مربط.

في سلسلة المكتبة الفولكلورية اصدر عبد اللطيف حبيب كتابا في سنة ١٩٦٢ اسماه: قبل اعوام.. صور قلمية في التراث الشعبي، تناول فيه عددا من موضوعات التراث هي: الملا، الساقي، ازياء ، وازياء ايضاً، الساس ، الهلاي، الخيرة، الكبسة،. وموضوعاته هي (خواطر) كما وصفها كاتبها تمر بنفسه فتشجيه وتسكره، يقول، كانت خواطر هذه الصور الشعبية تمر بنفسي فتشجيني وتسكرني، ولماذا لا نشجي وتسكر؟ الم يقدر لها في ايامها المواضي ان تنتشر؟ الم يقدر لها في حاضرها أن تضمحل؟ الم يقدر لها اخيرا ان اجدد الحديث عنها بعد ان وجدت من يتولى حمايتها ويمنع عنها الزراية والعبث؟

ولعل عبارة المؤلف الاخيرة تكفي في الكشف عن هدف سام يتوخاه كتاب الفولكلور وباحثوه في الحفاظ على تراص الشعب من غائلة تقادم زمن يأتي بكل عجيبة وامرها ان تختفي سلسلة المكتبة الفولكلورية وان يقوم على الاشراف على ما يكتب في الفولكلور اناس لاشان لهم بالفولكلور او في افضل الاحوال وضعتهم الصدف في مجراه.

الأنغام الموسيقية في الطقوس الدينية

آمال ابراهيم محمد

تظهر الانغام الموسيقية واضحة جلية في العديد من الطقوس التعبدية ، مثل الاذان ، وترتيل القرآن ، والتمجيد واستقبال وتوديع شهر رمضان ، وتكبيرات صلاة العيد ، اضافة للانغام والمقامات العراقية التي تصاحب حفلات الذكر بانواعه ، والمولد النبوي والتهليلة وتقدم هذه الحفلات الدينية في مناسبات ذكرى ولادة الرسول (ص) ، والاحتفال بذكرى الاسراء والمعراج ، وليلة القدر ، اضافة للمناسبات الاجتماعية الحزينة ، والمفرحة مثل العودة من الحج او السكن في بيت جديد ، او ايفاء النذور ذلك ان الموسيقى كانت ولا تزال "تربط العالمين الديني والدنيوي عند المسلمين وغير المسلمين" "حتى ان الملا عثمان الموصلي رفض ان يعلم بعض الطلاب قراءة القرآن الكريم ، اذا لم يجيدوا معرفة غناء المقام العراقي قائلاً لهم :

ان قارئ القرآن الذي لا يعرف الانغام والمقامات كالذي بيته في الصحراء دون بوصلة" كما تقول د.شهرزاد قاسم حسن في (الديني والدنيوي في الموسيقى).

الحفلات الدينية والتصوف

ارتبط مفهوم التصوف بمدينة بغداد.. اذ ان "انطلاقة التصوف الاسلامي في القرن السادس الهجري كان من العراق الى سائر بلاد المشرق..

كما ان "بغداد مدينة للتصوف مثلما هي مدينة للعلم، وقد فتح اقبال البغداديين على الغناء، افاقاً واسعة أمام الشعراء، واخذ بعض انواع الشعر او الشعر الشعبي يظهر على السنة المغنين.. فكان ظهور الغناء الصوفي ثمرة التفاعل بين التصوف والاجواء البغدادية.." عزيز السيد جاسم في متصوفة بغداد.:

"...وفي النطاق نفسه انتشرت القراء المنغمة للقرآن.." والتصوف هو "خلاصة شاملة للحياة، يصبو برأفة ورقة الى الاجابة عن كبريات الاسئلة الوجودية.." (خنشلاوي.. الجزائر) وهو ايضاً "الوقوف مع الآداب الشرعية، مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل.." وتنسجم موسيقى التصوف مع هذه الآداب فجاءت تحمل الرزانة والبطء والحزن.

وظهر عدد كبير من "المبدعين من الشعراء والمنشدين والموسيقيين من المتصوفة، من الذين حملوا راية الموسيقى العالية، اذن ان الهيئات الدينية الرصينة اقرت بمكانة الموسيقى واهميتها، وسمحت باستعمال الانغام والآلات في الصلوات والطقوس التعبدية" –جلال الحنفي في مقدمة الموسيقى.

اضافة الى (الاشكال الفنية الاخرى كالرقص، والشعر والمنمنمات لتزيين المؤلفات).

الآذان

يقول بطرس البستاني في (محيط المحيط):

"اذن المؤذن بالصلوات اعلم بها"..

وتغلب على نغمة الآذان في بغداد انغام المقام العراقي مثل انغام مقام الحجاز والكرد والعجم.. ويراعي المؤذن اختيار النغمة المناسبة، بالابتعاد عن نغمة (مقام الحديدي الحزينة) واستبدالها بالنغمة العالية المفرحة كنغمة (مقام المنصوري) (الشيخ جلال الحنفي.. مقابلة في جامع الخلفاء -٢٠٠٣).

وهناك من المصلين ممن يستأنسون ببعض انغام المقام العراقي، فيطلبونها من المؤذن قبل رفع الآذان بوقت مناسب.

تجويد القرآن

التجويد.. هو "فن تلاوة القرآن الكريم اداء ونغماً والمصطلح قديم جداً". امتاز تجويد القرآن الكريم في بغداد باحتوائه الكثير من انغام المقام العراقي.. ومن الجدير بالذكر إن انغام المقام لا تصلح جميعها في تجويد القرآن. وتظهر في تلاوة القرآن الاقليمية، مثل المغاربية التي يتوضح فيها التقطيع والمصرية تتميز بالبطء والوتيرة الواحدة، في حين تتميز القراءة العراقية بكثرة الانغام التي قد تصل الى ثلاثين نغمة.

تكبيرات العيد

تتميز صلاة اليوم الاول لعيدي (الفطر والاضحى) بالتكبير بالفاظ يرددها المصلون في الجوامع، منغمة على انغام مقام الجهاركاه.

التمجيد

وهو "التغني بالفاظ وتسبيحات ليالي الجمع وظهر يومها على سطح المسجد الجامع ومئذنته بالحان معلومة".

ويبدأ التمجيد بقراءة سورة الفاتحة، ثم الفاظ خاصة بالتسبيح وبعض قصائد الفخر والتصوف والرجاء، تقرأ على انغام مثل (نغمة مقام الارواح والمخالف والمحمودي والعجم عشيران) ومن المتعارف ختام التمجيد بنغم مقام الصبا.. وكانت بغداد تختار لمهمة التمجيد كبار مغنيها امثال: احمد الزيدان ممجد جامع منورة خاتون والحاج جميل البغدادي ممجد جامع المرادية ونجم الشيخلي ممجد الحضرة الكيلانية –جلال الحنفي في (المغنون البغداديون).

استقبال وتوديع شهر رمضان

يستقبل شهر رمضان قبل عدة ايام من قدومه ببعض العبارات والاشعار المنغمة على مآذن الجوامع اذ تتلى الألفاظ على نغم مقام الحكيمي، ويودع في الخمسة ايام الاخيرة من رمضان بقراءة الفاظ وأشعار مناسبة تصف اهمية الشهر وفضائله، على انغام مقام السفيان الحزينة.

المنقبة النبوية

هي احتفال ديني يقام في المناسبات الدينية، مثل ليلة القدر والاسراء والمعراج والمولد النبوي وهي "وعاء واسع للمقامات والانغام، تضم عشرات الاشغال من تواشيح وتنزيلات تبلغ القمة في الاجادة النغمية".

تقدم المنقبة النبوية مجموعة من الرجال (الشيخ والشغالة) يقدمون المقام العراقي ومجموعة من التنزيلات والمدائح النبوية من الشعر الفصيح والعامي.

الاذكار

وهو "طقس صوفي اسلامي تؤدى فيه القصائد بصيغة المقام العراقي، تصاحبه قرارات الذكارة او مجموعة مؤدي الذكر".

تقدم حفلة الذكر في الاضرحة والجوامع والبيوت وهناك انواع من الذكر تختلف باختلاف الطرق الصوفية كالطريقة القادرية والرفاعية، ويمتاز كل ذكر بقراءة مجموعة من المقامات تقرأ حسب نظام الفصل.

المولد النبوي

ويسمى محلياً (المولود) يتضمن قراءة مجموعة من المقامات العراقية، تتوزع على فصول، وكل فصل يضم عدداً مختلفاً من المقامات. اضافة لنظم مجموعة من الاشعار تلحن خصيصاً للمولد، او تقتبس الالحان من الاغاني والبستات المحلية الشائعة، وتقرأ في المولد مجموعة من شعر الابوذية.

حفلة التهليلة

وهي "حفلة شبه دينية" تنشد فيها التواشيح والتسبيحات من قبل بعض الملالي المتخصصين" تقرأ في حفلة التهليلات مجموعة من المقامات العراقية، يرافقها همهمات يؤديها الشغالة بترديد (لا اله إلا الله) تسمى (الونه)، تنغم بنغم يناسب المقام المؤدى، فاذا كان القارئ يقرأ مقام البيات، فأن الشغالة يرافقونه بـ(ونة البيات) لتسهيل مهمة القارئ في قراءة المقام، لعدم استخدام الآلات الموسيقية.

الآلات الموسيقية المستخدمة

يستخدم الصوفية العديد من الآلات الموسيقية كالآلات الايقاعية والهوائية والوترية، وبعض الفرق الصوفية تستخدم الآلات الايقاعية فقط وهي مجموعة من آلات الدف.

والدف عبارة عن اطار دائري، يرمز عند المتصوفة الى الدائرة وتعني عندهم الحركة اللانهائية للكون وتثبت على الدف مجموعة من الحلقات المستديرة، كما ان عدد السلاسل المثبتة تتفق مع عدد اسماء الله الحسنى وللدف اهمية كبيرة، فصوته يلهم المبتدئين ويشوقهم لاداء الذكر.. ووسيلة المتصوف للوصول الى حالة من الوجد وقد يكون (اقصى مراتب الوجد الصوفي) وفقدان الاحساس بالواقع الخارجي، حتى ينسى المتصوف جسده في حفلة ضرب الجسد على ايقاع الموسيقى.. وهناك الآت اخرى مثل النقارة يستخدمها الدراويش الاكراد مثل (البرزنجية والبندنيمي والرفاعي) اذ يتم استخدامها في فصل التوحيد.

المصادر والمراجع

المصادر الشفوية:

-(مقابلات مع الشيخ جلال الحنفي- جامع الخلفاء ٢٠٠٣)

المصادر المكتوبة

١-بطرس البستاني- محيط المحيط- بيروت ١٩٨٧

٢-جلال الحنفي (الشيخ):

أ-المغنون البغداديون والمقام العراقي- بغداد ١٩٦٤

ب-معجم اللغة العامية البغدادية- بغداد ١٩٨٠

جـ-مقدمة في الموسيقى العربية- بغداد ١٩٨٩ .

٣-ختشلاوي (د)- الجزائر دار الهجرة ومستقر الايمان.

٤-عزيز السيد جاسم- متصوفة بغداد- بغداد١٩٩٠

٥-شهرزاد قاسم حسن:

أ-الآلات الموسيقية في المجتمع التقليدي في العراق- بيروت ١٩٩٠ .

ب-الديني والدنيوي في الموسيقى خلال العصر العثماني المتأخر في العراق- الاردن-٢٠٠٣ .

مكتبة

مكتبة الشرق

تأليف: د. عماد عبد السلام رؤوف

اصدر الباحث كتابه عام ١٩٩٩ بعنوان (مكتبة الشرق، تاريخها، مخطوطاتها) الذي ارخ فيه لانشاء مكتبة عراقية اهلية عريقة ظهرت في سوق السراي عام ١٧٨٠ كاول مكتبة بغدادية تتعاطى بيع وشراء الكتب والمخطوطات وصاحبها هو الملا خضر جدوع الربيعي، ويكشف الكتاب عن حياة صاحبها والبناء الاجتماعي لسوق الوراقين في بغداد.

الحكاية التراثية

تأليف: د. قيس كاظم الجنابي

صدر الكتاب عن سلسلة الموسوعة الصغيرة حديثا وهو يعرف بموضوعة الحكاية التراثية وجذورها التاريخية وقيامها على المزج بين الواقع والخيال، من فصول الكتاب: الحكاية والتاريخ –الحكاية وتشكلات المكان – الحكاية وادب السيرة – الحكاية والمعرفة – الحكاية والشعر – الحكاية وفنون النثر.

اللؤلؤ في الخليج

تأليف: الصادق محمد سليمان

كتاب يتناول الجوانب التاريخية والاقتصادية والثقافية التي تتعلق باللؤلؤ وخواص وصفات اللؤلؤ واسمائه وموازينه وصناعته وتجارته.

اصدار مركز التراث الشعبي لدول الخليج الدوحة ,١٩٩٨